ختمات التدبر

من تراث الشيخ صالح الحصين -رحمه اللّٰه-

[١٣٥١ – ١٤٣٤]

« للشيخ عادة فريدة وجميلة، وهي أنه يخصص كل ختمه لكتاب الله لمعنى واحد يبحث عنه في كل آية من آياته، أو قضية معينة يطلب مسلك القرآن في بيانها وعلاجها، ولا ينهي ختمته إلا بعد أن يستخلص من المقررات والفرائد ما لا يتأتى إلا لقارئ مخبت متدبر فائق النباهة والذكاء، وكذلك كان الشيخ! »[١]

ويقول الشيخ يحيى اليحيى متحدثا عن شيخه صالح الحصين -رحمه الله- : « وكان كثير القراءة للقرآن كثير الختمات للتدبر والبحث، فلا يكاد يمر عليه موضوع مهم إلا وقرأ له ختمة يستخرج ما يخصه من القرآن ».

وهاهنا محاولة لجمع آثار ذلك من تراث الشيخ بلغت عشرين موضوعا ..

أسأل الله أن يجمعنا بالشيخ في فردوسه الأعلى..

وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا .. آمين

ملاحظة:

بعد كل اقتباس ستجد روابط المصادر مضمنة في الحاشية، اضغط عليها وستنتقل مباشرة للمصدر.

---

(١) [في ظلال الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين] بقلم د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي الأستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر .

١- التقوى

« الإسلام يعتمد على "أساس أخلاقي" يُترجم عنه بالمصطلح الإسلامي "التقوى" هذا المصطلح الذي ذُكر بمشتقاته في أكثر من ٢٠٠ موضع من القرآن وورد بمعناه في مواضع كثيرة أخرى من القرآن، ويعني هذا المصطلح درجة من الحساسية الخلقية حيث يشعر المسلم بأن الله يراقبه في كل حركاته وسكناته وأنه سوف يحاسبه عن أعماله، وإن الصلاة والصوم كانتا وسيلتان فاعلتان لتعزيز هذه القيمة ».(٢)

٢- العقل والتفكير والعلم

« المساحة الواسعة التي أعطاها القرآن للحث على إعمال العقل والتفكير وطلب العلم والجد في الوصول للحقيقة، وليس أدل على ذلك من أن ألفاظ العقل والتفكير والعلم ومشتقاتها وردت في القرآن أكثر من ثلاثمائة وخمسين موضعا، بالإضافة إلى المساحة الكبيرة الأخرى التي تشمل مرادفات هذه الألفاظ والمعاني الدالة عليها ».(٣)

٣- الأمر بالعدل والنهي عن الظلم

« العدل هو القاعدة الأساسية في تنظيم علاقة المسلم بغيره ، ويشمل ذلك العلاقات الدولية –كما سنرى– والعدل في هذا المجال –وكما تظهر نصوص الكتاب والسنة– هو القيمة الأولى بين القيم الإسلامية ، وفي القرآن ورد الأمر بالعدل والإشادة بالمتصفين به ، والنهي عن الظلم والتشنيع على مرتكبيه في أكثر من ثلاثمائة وخمسين موضعا . ويُعبر عن العدل أحيانا بالقسط وإقامة الميزان أو بما يدل على هذا المعنى ، كما يُعبر عن الظلم بالبغي والعدوان والبخس والطغيان ».(٤)

---

(٢) مقال [تعليق على: الحضارة والتقدم] .

(٣) أيضا مقال [تعليق على: الحضارة والتقدم] .

(٤) كتاب [العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة ، صفحة ٣٢] ، وانظر أيضا كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ١٧٨] .

٤- ذم القتل بغير حق والعلو في الأرض والفساد فيها

« يلاحظ في البداية من نصوص القرآن دلالتها على أن أشنع عمل للإنسان في علاقته بغيره (سفك الدماء، وإرادة العلو في الأرض، والفساد فيها).

فالأول اعتداء على حياة الإنسان، والثاني اعتداء على حريته، والثالث اعتداء على ما به حياته، وكثيرا ما يذكر القرآن هذه الشرور مرتبطة ببعضها، ذلك أنها كذلك في الواقع فكل منهما في الغالب سبب للآخر ونتيجة له في حلقة شريرة لا نهاية لها ... وبالجملة فإن ذم القتل بغير حق والعلو في الأرض والفساد فيها ورد في القرآن في أكثر من مئة وعشرين موضعا ».(٥) وذكر الشيخ في هذا الموضع ثلاثة عشر شاهدا من القرآن .

٥- وجوب الوفاء بالعهد وتحريم الإخلال به

« أبرز مظهر للعلاقات الدولية في حالة السلم : المعاهدات. وقد عُني القرآن في زهاء ثلاثين موضعا منه بالتأكيد على وجوب وفاء المسلم بالعهد، وتحريم الإخلال به ».(٦)

٦- الرحمة والرأفة والعفو والصفح والمغفرة والصبر [جذور التسامح]

« إذا كان لا ينازع في أن جذور التسامح – وفي الوقت نفسه ثمراته – هي صفات معينة مثل الرحمة والعفو والصبر، فيلاحظ أن القرآن الكريم كرر ذكر الرحمة والرأفة والعفو والصفح والمغفرة والصبر أكثر من تسعمائة مرة.

---

(٥) كتاب [العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة ، صفحة ٣٥+٣٦] ، وانظر أيضا كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ١٧٩+٢٢٣] ، وكتاب [وصايا النبي ﷺ في المائة يوم الأخيرة من حياته الشريفة ، صفحة ٧٠] ، ومقال [انتقادات موجهة للإسلام] .

(٦) كتاب [العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة ، صفحة ٤٧] .

وقد ذكرت صفات الله أو للقرآن أو للنبي ﷺ وفي ضمن ذلك دعوة الإنسان إلى الاتصاف بها، أو ذكرت في مجال مدحها والأمر بها ».[٧] ثم ذكر الشيخ سبع عشرة آية تدل على ذلك .

٧- تسبيح من في الكون للّه

« تكرر في القرآن ذكر أن (من في الكون يسبح لله) أكثر من ثلاثين مرة بلفظ "التسبيح"، وتكرر هذا المعنى بغير لفظ "التسبيح" مرات أخرى كثيرة. وهكذا فإن المسلم الواعي عندما يقرأ أو يسمع القرآن، ويسبح الله كما أمره: فإن من الطبيعي أن يدرك أنه عضو في "كورس" التسبيح الكوني، وهذا كافٍ لإشعاره بانسجامه مع الكون وعناصره، وأنه ليس مع الطبيعة في حال تنافر وصراع ».[٨]

٨- تسخير اللّه عناصر الكون للإنسان

« ... ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾ [الجاثية: ١٢ – ١٣].

وقد تكرر معنى الآيات الكريمة من تسخير الله عناصر الكون بلفظ "التسخير" أكثر من عشرين مرة، وتكرر هذا المعنى عدة مرات بألفاظ أخرى مثل: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

وهكذا فإن المسلم الواعي حين يقرأ أو يسمع القرآن، ويعرف أن عناصر الطبيعة مسخرات له، ونِعم أنعم الله بها عليه فإن من الطبيعي أن يشعر بإلف للطبيعة وأنس بها، وأن يعتبرها صديقة وليست عدوة

(٧) كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ٢٤] .
(٨) كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ٤٢] ، وانظر أيضا مقال [تعليق عن الاستدامة البيئية] .

وربما يفسر هذا أنه لا توجد في لغة الإسلام عبارات مثل "قهر الطبيعة"، أو "ظلم الطبيعة" كما هي في اللغات الأوروبية، وإنما انتقلت هذه العبارات إلى اللغة العربية حديثا تأثرا باللغات الأوروبية ».(٩)

٩- الاعتدال والنهي عن تجاوز الحد وذم التطرف تحت أسماء الغلو والإسراف والاعتداء والطغيان

« إن سماحة الإسلام ويسره اقترنت بحكم ما تقتضيه طبيعة الأمور بسِمَتِه العامة: الوسطية والاعتدال، والبعد عن الغلو والتطرف والتشدد والإسراف.

ولذلك لم يكن غريبا أن يتكرر في القرآن الثناء على الوسطية والاعتدال، والنعي على تجاوز الحد وما يتولد عنه من تعصب وبغي وعدوان، وأن يتكرر ذلك في أكثر من ثمانين موضعا، يعبر فيها عن تجاوز الحد والخروج عن الوسطية والاعتدال بألفاظ الغلو والإسراف والطغيان والبغي والاعتداء ».(١٠)

١٠- المنهج السليم في الحكم على الأشياء والأشخاص والآراء

« ونرى أن المنهج الذي أعطاه القرآن مساحة واسعة منه ربما تزيد على ثلاثمائة آية، مسانداً بالأحاديث الصحيحة، وخلاصته أن المنهج الصحيح في الحكم على القضايا أو الأشخاص يجب أن يتوفر له شرطان :

أ- العلم وذلك بسعي الإنسان الجاد للوصول إلى الحقيقة بالوسائل الصحيحة وليس منها الظن أو الإشاعة أو مجرد شيوع الفكرة عند الناس، أو الانطباع الشخصي، أو التسليم المطلق للشعارات.

ب- الموضوعية وعدم التحيز، ويعبر عنه القرآن بالعدل.

---

(٩) كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ٤٣] ، وانظر أيضا مقال [تعليق عن الاستدامة البيئية] .

(١٠) كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ٧٠] ، وانظر أيضا كتاب [الأقليات المسلمة في مواجهة فوبيا الإسلام ، صفحة ١٤+١٥] ، ومقال [تجربتي في الحوار مع الآخر] ، ومقال [قضية الحجاب بين الغلو الحقيقي والغلو المزيف] .

نرى أن هذا المنهج والعناية به وإشاعته بين الناس وتربية النشء عليه كفيل بالوقاية والعلاج لكثير من حالات التشدد، ونرى أنه ربما لا يخلق التشدد والتطرف شيئاً مثل التشدد والتطرف المضاد. إنَّ هذه المعادلة تكوِّن الحلقة الخبيثة التي يجب على المصلحين كفاحها ومقاومتها ».(١١)

١١- اقتران الإيمان بالعمل الصالح

« ... يَعتبر الإسلام أن دعوى الإيمان والتقوى دون أن يصدقها العمل دعوى كاذبة، وكذلك فإن العمل إن لم يكن مبعثه الإيمان ولم يقصد به وجه الله، فهو حابط في ميزان الآخرة، والإيمان حينما يقترن بالعمل الصالح ينتج السعادة الدنيوية والأخروية، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝ ﴾ [العصر: ٢ - ٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

واقتران الإيمان بالعمل الصالح ورد في القرآن أكثر من ثلاثمائة وثمانين مرة، كما أن لفظي عمل وفعل وما اشتُق منهما ورد في القرآن (٤٧٥) مرة ».(١٢)

(١١) كتاب [الأقليات المسلمة في مواجهة فوبيا الإسلام ، صفحة ٦٠+٦١] ، وكتب الشيخ مقالا مستقلا عن هذا المنهج بعنوان [المنهج الشرعي للحكم] ، وانظر أيضا كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ٧٤] ، ومقال [دليل لمنهج الخطابة في المسجدين الشريفين] .

(١٢) كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ٨٣] .

١٢- العمل والفعل واشتقاقاتهما

« وقد تكرر لفظ العمل واشتقاقاته في القرآن ٣٦٧ مرة، ولفظ الفعل واشتقاقاته ١٠٨ مرات كما ورد التعبير عن العمل بألفاظ: الكسب والإتيان والسعي والكدح والابتغاء مرات أخرى.

وتكررت هذه الألفاظ بصيغة الأمر بالعمل أو الحث عليه أو تقرير أن الجزاء على حسب العمل ... ».[١٣]

١٣ ، ١٤- ألفاظ العقل والفكر والفقه والذكر ومشتقاتها وألفاظ العلم والمعرفة ومشتقاتها

« أما بالنسبة للسببية العقلية فليس أدل على أهميتها في الإسلام مما حفل به القرآن من الحث على إعمال العقل والتفكير وطلب المعرفة ... وقد وردت في القرآن ألفاظ العقل والفكر والفقه والذكر ومشتقاتها ١٠٨١ مرة وألفاظ العلم والمعرفة ومشتقاتها ٧٩٣ مرة ... ».[١٤]

١٥- جذر (ص ل ح) و (ف س د)

« وجذر (ص ل ح) ومشتقاته تكرر في القرآن الكريم مائة وثمانين مرة، من بينها أربعون مرة ورد بلفظ (الإصلاح) ومشتقاته.

تكرر جذر (ف س د) خمسين مرة ».[١٥]

١٦- تقييد طاعة المخلوق بالمعروف

« ... فالنظام الإسلامي، ككل الأنظمة، يَفرِضُ في حالات معينة طاعة المخلوق للمخلوق مثل: طاعة الزوجة لزوجها، والولد لوالديه، والرعية لولي الأمر، ولكن كل هؤلاء طاعتهم "غير مطلقة" لأن

---

(١٣) أيضا كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ٨٤] .
(١٤) أيضا كتاب [التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب ، صفحة ٩٠] .
(١٥) كلمة ألقيت في مهرجان الجنادرية عام ١٤٢٨ بعنوان: [الإصلاح: الأصول الشرعية والمنطلقات العملية] .

الطاعة المطلقة في الإسلام من خصائص الألوهية، فدعواها لغير الله "شرك" في الطاعة، يعني أن طاعة المخلوق في الإسلام دائما "مقيدة" وليست "مطلقة"، على عكس ما رأينا بالنسبة للدستور في مواجهة الخاضعين له في النظم الديموقراطية، ففي الإسلام طاعة المخلوق المفروضة سواءً الولد لوالديه، أو الرعية للحاكم، طاعة "مقيدة" في "المعروف"، وهذا المعيار استعمل في القرآن في تسعة وثلاثين موضعاً مما يعني أنه معيار "مرن" ولكنه "منضبط"، قال تعالى في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة النساء: ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ علق المفسر المشهور ابن زيد (توفي عام ١٨٢هـ) على هذا الجزء من الآية الكريمة بقوله: محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله وخيرته من خلقه ومع ذلك فلم يقل الله ﴿وَلا يَعْصِينَكَ﴾ ويترك حتى قال ﴿فِي مَعْرُوفٍ﴾، فكيف لغيره صلى الله عليه وسلم أن يدعي أنه يطاع في غير المعروف (راجع الطبري في تفسير هذه الآية)، وفي الآية الكريمة الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..﴾ فالآية الكريمة تفترض إمكانية المنازعة بين ولي الأمر ومن يَحْكُمه، في شأن أمْرٍ أَمَرَ به – ويشمل ذلك التنازع في اتصاف الأمر بصفة المعروف- والمنازعة هنا – والله أعلم- إنما تكون بعد المراجعة، مما يعني قابلية كل أمْر من أوامر ولي الأمر للمراجعة (كما اختار ذلك أبن عاشور في تفسيره لهذه الآية) تحت شرط "في المعروف"، وتهدي الآية الكريمة إلى طريقة العلاج وهو تحكيم: القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبهذه المناسبة فيمكن للقارئ إعادة التأمل أي النظامين الثقافيين أكثر تحضراً وتقدماً وإنسانية وحماية لكرامة الإنسان وحريته، وأولى بالدعوة لتبنيه والدفاع عنه؟ ».(١٦)

---

(١٦) مقال [حرية التعبير...هل عليها قيود في المملكة؟] .

١٧- ذم الكبر

« والتواضع ليس فقط قيمة أساسية من قيم الإسلام، بل هو مصدر لتوليد و تطوير وتنمية عدد من القيم الإسلامية الأخرى، و نقيض التواضع الكبر.

و الآيات القرآنية التي وردت فيها مادة (كبر) وما اشتق منها تبلغ اثنتين و أربعين آية وكلها تبين أن الكبر سبب الضلال أو نتيجته أو سمة الضالين أو وصفاً سبباً لاستحقاق العقاب الدنيوي والأخروي ... ».[١٧]

١٨ ، ١٩- ذم الإسراف وذم الفساد

« ... ففي (استدامة الموارد) عنى الإسلام في البداية بمقاومة خطرين مهمين:

الأول : (إهدار) الموارد، وهو ما يشكل العائق لنموها أو لحمايتها.

الثاني : (تدمير) الموارد بعد أن تتاح لها فرصة الوجود والنمو.

فأولاً : يطلق القرآن على إهدار الموارد لفظة " الإسراف" وما يرادفها من الألفاظ، وقد وردت لفظة الإسراف وما اشتق منها في مجال التحذير منه في (ثلاثة وعشرين) موضعاً من القرآن ...

وفيما يتعلق بالثاني أي تدمير الموارد فإن القرآن الكريم يسميه "الإفساد" وقد ورد "ذم الفساد"والتحذير منه في (خمسين موضعاً) من القرآن ».[١٨]

٢٠- الصبر

« ... وقد جعل القرآن مساحة واسعة للثناء على الصبر والأمر به، والثناء على الصابرين؛ فورد ذكر الصبر بهذه المعاني في أكثر من سبعة وتسعين موضعا في القرآن، بلفظ الصبر أو الصابرين، ... ».[١٩]

---

(١٧) مقال [تجربة حاج] .
(١٨) مقال [تعليق عن الاستدامة البيئية] .
(١٩) محاضرة [تفسير سورة العصر] .